الإحالة بالضمائر في سورة (الإنسان)
ودورها في الانسجام النصي*

أ. م. د. أمير رفيق عولا المصيفي**

*تاريخ التسليم: 2016/8/16م، تاريخ القبول: 2016/9/10م.
**أستاذ مساعد (مشارك)/ جامعة سوران/ أربيل/ العراق.

ملخص:

تعد الضمائر من أهم الأدوات لتحقيق التماسك النصي، لكونها تنظم تتابع التراكيب بعضها ببعض؛ وبها تجعل من التراكيب أن تكون مرتبطة بعضاها ببعض لتكون جزءا من الخطاب العام، فالضمير أنسب الأسماء تعيينا وتوضيحا وتفسيرا لمعاني التراكيب، وإنَّ تنوع استعمالاته ومرجعياته في نص واحد يؤثر على دلالات النص، إذ إنَّ تنوع الضمائر، وتحوّلها، واحتواء بعضها لبعض في النص تنتج حركات دلالية وانسجام سياقي في النصّ البليغ.

وهذا البحث هو محاولة لرصد الضمائر الإحالية في سورة (الإنسان)، وملاحظة للترسيم البليغ لها ولمرجعياتها، إذ تؤدي الضمائر الواردة في هذا النص البليغ دوراً بارزاً في تماسكه وانسجامه مع مرجعياتها كماً ونوعاً، وإنَّ الانسجام الدلالي والنصي قد حُقِّقَ بوساطة دقة استعمال تلك الضمائر.

الكلمات الدالة: الإنسان، الإحالة، الضمائر، الانسجام، النص.

Referral of Pronouns in Surat (Al-Insan) and their Role in in Achieving Textual Harmony

Abstract:

Pronouns are considered the most important tools to achieve textual cohesion. Pronouns are the best parts of speech to be used that reflect textual harmony. This study is an attempt to detect the use of pronouns in Surat "Alisan" and try to detect their references, as pronouns in this eloquent text plays a prominent role in cohesion and harmony with their references in quantity and quality, thus achieving harmony in semantics and text by using accuracy use of those pronouns.

***Key words**: Surat "Alisan", referral, pronouns, textual harmony.*

مقدمة:

لا شك أنَّ النحاة العرب القدماء قد ذكروا دور الضمير في بناء التراكيب النحوية، ودقة معانيها وربط أجزائها، لأنَّ الضمير هو الأصل في ربط الجملة بما قبلها، وربط الاسم بما قبله، وذكروا وقوع الربط به مذكوراً ومحذوفاً، و وقوعه موقع الظاهر.

والأصل في الجملة أن تكون كلاماً مستقلاً، غير أنَّه إذا قصد جعلها جزءاً من كلام فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وهذه الرابطة هي الضمير، إذ هو موضوع لمثل هذا الغرض، لولاه لأصبح الأسلوب مبتوراً غير مستوف للفائدة. وقد ظهرت في الآونة الأخيرة نظريات تتجه نحو أكثر من الجملة لتشمل نصا مكوَّنا من جمل عديدة تحت مسمى (نحو النص)، تحقيقا للتماسك بين تراكيب نص واحد، متخذة من النصِّ وحدةً لغويّةً كبرى في دراسة النصوص وتحليلِها.

والضمائر من أهم الأدوات لتحقيق هذا التماسك، لكونها تنظم تتابع التراكيب بعضها ببعض؛ لأنّ التركيب في الأصل مستقل بنفسه، فإذا قصد جعله جزءا من الخطاب فلا بد من الضمير ليربط بين أجزاء هذا النص، فيصبح الضمير أنسب الأسماء تعيينا وتوضيحا وتفسيرا لمعاني التراكيب، وعليه فالضمير وتنوع استعمالاته ومرجعياته في نص واحد يؤثر على دلالات النص، إذ إنَّ تنوع الضمائر وتحوّلها، واحتواء بعضها لبعض، وما ينتج عن كلّ ذلك من حركات دلالية في النصّ نفسه تعدُّ انعكاسًا لحركة الضمائر.

وهذا البحث هو محاولة لرصد الضمائر الإحالية في سورة (الإنسان)، وملاحظة للترسيم البليغ لها ولمرجعياتها، إذ تؤدي الضمائر الواردة في هذا النص البليغ دورا بارزاً في تماسكه وانسجامه مع مرجعياتها كماً ونوعاً، وإنَّ الانسجام الدلالي والنصي قد حُقِّقَ بوساطة دقة استعمال تلك الضمائر.

مفهوم الإحالة من اللغة إلى الاصطلاح:

الإحالة هي مصدر الفعل الرباعي أحال المزيد بالهمزة، وذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) في التعريف اللغوي للإحالة أنَّ (المحال من الكلام ما حُوِّل عن وجهه، وكلامٌ مُسْتَحيلٌ محالٌ، وأرضٌ مُسْتَحالةٌ تُرِكَتْ حَوْلاً أو أَحْوالاً عن الزّراعة، وقوس مُسْتَحالةٌ في سِيَتِها اعوجاجٌ)(1)، والمُحالُ من الكلام: ما عدل به عن وجهه، وحَوَّله: جعله مُحالاً(2)، وحال الرّجل يحول: تحوّل من موضع إلى موضع، وحال إلى مكان آخر أي تحوّل(3)، ولفظ الإحالة إذن يدل على نقل الشّيء من حال إلى حال أخرى، ويعني توجيه شيء أو شخص على شيء أو شخص آخر لجامع يجمع بينهما، كما تجوز الدّلالة بها على المعنى الاصطلاحيّ الذي يحيل فيه العنصر الإحاليّ على عنصر إشاريّ يفسّره ويحدّد دلالته (4).

فالإحالة **référence** في الاصطلاح كما يعرفها (جون ليونز) هي: (العلاقة بين الأسماء والمسميات)(5)، وعند (مانجينو) هي: (العلاقات الاسترجاعية (العائدة) بين عنصر وعنصر آخر في السلسلة النصية)(6)، وتعني (وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، وإنّما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمّى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ...)(7)، ويأتي الدور المهم للإحالة في أنها وسيلة اتساقية بارزة يحدث من خلالها أن يصبح النص لحمة واحدة، وكلا لا يتجزأ، ويتمثل شأنها في التذكير بعنصر آخر من عناصر الجملة(8).

وعلى ضوء ما سبق فقد وضع أحد الباحثين تعريفا شاملا

للإحالة، بقوله: (إنّها عملية معنويّة، ينشؤها المتكلِّمُ في ذهنِ المخاطَب، عن طريق إيراده ألفاظًا مبهمةَ الدِّلالة، يشيرُ بها إلى أشياء أو مواقف أو أشخاص أو عبارات أو ألفاظ خارج النصّ أو داخله، سابقة عليها أو لاحقة، في سياق لغوي أو غير لغوي، يقصد بذلك الاقتصاد في اللفظ، وربط اللاحق بالسابق والعكس، بما يحقق الاستمرارية والتماسك في النصّ)[9].

فالإحالة بمفهومها العام: هي علاقة دلالية تربط ألفاظاً معينة بما تشير إليه هذه الألفاظ من ألفاظ أو مواقف يدل عليها السياق اللغوي أو سياق المقام، ولقصدية المتكلم.

أما تعريف (الضمير) فإنه (فعيل) بمعنى اسم المفعول، من أضمرت الشيء في نفسي، إذا أخفيته وسترته فهو مُضمَرٌ، كالحكيم بمعنى المُحكَم[10]، ويقول النحاة: إنّما سمّي بذلك لكثرة استتاره، فإطلاقه على البارز توسع أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة، والضمير مصطلح بصري، ويسميه الكوفيون كناية ومكنياً[11].

وقد عرّفه السكاكي (ت626هـ) بأنَّه: (عبارة عن الاسم المتضمّن للإشارة إلى المتكلم، أو المخاطب، أو إلى غيرهما بعد سابق ذكره، هذا أصله)[12]، فهو إذن: اسم جامد يدل على متكلم، أو مخاطب، أو غائب[13].

والفرق بين (المظهر والمضمر) هو الدلالة على الماهية في الأول، وعدم الدلالة عليها في الثاني، فالاسم المضمر فارغ من الدلالة على الماهية، إنّما دلالته قائمة على دوره في عملية التخاطب[14].

وبخصوص دور الضمير في عملية التخاطب؛ فإن ضمائر المتكلم والمخاطب لها دور في عملية التخاطب، وضمائر لا دور لها في عملية التخاطب أو دورها قليل، وهي ضمائر الغائب[15].

والأصل أن يكون للضمير مرجع أو مفسّر واحد، أما تعدُّد مرجعية الضمير، والاختلاف فيها فيبرز التماسك الدلالي في النص، وتختلف الدلالة تبعاً لاختلاف مرجعية الضمير، وهذه الدلالات كلُّها جائزة ومحتملة، والغرض الأساس من الضمير هو الدلالة على المراد مع الاختصار.

والضمائر كلُّها (متكلم، مخاطب، غائب) لا تخلو من إبهام وغموض، أي: إخفاء، إلا أنَّ المتكلم والمخاطب لا يحتاجان إلى تفسير، لأنَّ صاحبهما حاضر وقت الكلام، ولمّا كان ضمير الغائب غير معروف، لأنَّ صاحبه غير حاضر ولا مشاهد فهو يحتاج إلى شيء يفسِّره ويزيل الإبهام والغموض، وهذا المفسّر هو مرجع الضمير[16].

وللضمير ثلاث مرجعيات[17]:

1. مرجعية داخلية (سابقة أو لاحقة)، في الآية الواحدة، أو في البيت الشعري الواحد.

2. مرجعية داخلية (سابقة أو لاحقة)، في أكثر من آية، أو أكثر من بيت.

3. مرجعية خارجية، لشيء لم يجر له ذكر في النص.

ولا تكمن أهمية المرجعية في عدد الضمير وحده، وإنما في الربط بين الأجزاء الداخلية من ناحية، وبين الداخلي والخارجي من ناحية أخرى، وبما أنَّ أسلوب القرآن العظيم معجز، إذ لا يستطيع أحد أن يحيط بكل مراميه ومقاصده، فيُلاحظ أنَّ المفسرين توسّعوا في إيراد المرجعيات، ووضعوا كثيراً من الاحتمالات لمرجعيات الضمير، إدراكاً منهم بأنَّ النص القرآني يحتمل أوجهاً، لغناه ولقوة تماسكه، فكلّما تعددت مرجعية الضمير ازدادت قوة الدلالة، فازداد بها الربط والتماسك[18].

وتشتد الحاجة إلى الضمير الرّابط، إذا كان الخبر جملة، كما أشار إليه رضي الدين الاسترآباذي (ت684هـ) بقوله: (وإنّما احتاجت إلى الضمير، لأنَّ الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلا بدَّ من رابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض)[19].

ويقول تمّام حسّان في دور الضمير في الربط: (لا شك أنّ الضّمائر تلعب دوراً مهماً جداً في علاقة الربط، فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، ومن هنا يؤدي إلى تماسك أطراف الجملة، ومن المعروف أنَّ الضمير يعود مثلاً من جملة الخبر على المبتدأ، ومن جملة الحال على صاحب الحال، ومن جملة النعت على المنعوت ومن جملة الصلة على الموصول، فيجعل الجملة في كل حالة من هذه واضحة الوظيفة، غير معرضة للبس)[20].

ونلاحظ في سورة الإنسان ترسيماً بليغا للضمائر ومرجعياتها، إذ تؤدي الضمائر الواردة في هذا النص البليغ دورا بارزاً في تماسكه وانسجامه مع مرجعياتها، كماً ونوعاً، ويمكن تصنيفها كالآتي:

1. اللوحات النصية في السورة وتوظيف الضمائر فيها:

يوجد في سورة الإنسان أربع لوحات نصية، اللوحة الأولى تتحدَّث عن جنس الإنسان عموماً، واللوحة الثانية: تتحدَّث عن الإنسان الكافر فقط، واللوحة الثالثة تتحدَّث عن الإنسان المؤمن، واللوحة الرابعة: تتحدَّث على نحو متنوع، ففيها الكلام على المشركين، وكذلك الكلام على الإنسان بشكل عام، لتكون نهاية السورة منسجمة مع بدايتها.

اللوحة النصية الأولى:

وتتمثل في قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۞**﴾(الإنسان: 1-3)، إذ يعود الضمير المستتر في (يكن) على (الإنسان) الذي يدور محور السورة عليه، ويُعدُّ بؤرة النص، ومرجعية الضمير داخلية سابقة. وهناك رابط مقدر في جُمْلَة (لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) الواقعة نَعْتًا لـ(حين) بتَقْدِيرِ ضَمِيرٍ رَابِط بمَحْذُوف، لدَلَالَة لَفْظ (حين) عَلَى أَنَّ الْعَائِدَ مَجْرُورٌ بِحَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ حُذفَ مَعَ جَارِه، تقديره: لم يكن (فيه) شيئا[21]، دلَّ السياق عليه، وأصبحت الجملة نصًّا متماسكاً يبيِّن أنَّ الإنسان لم يكن شيئا يذكر حتى أوجده الخالق بقدرته التي بيّنها، والوسيلة كانت نطفة أمشاجاً، بالإشارة إليها بضمير الجمع مسنداً إلى الفعل (خلق) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾، متوجهاً إلى الإنسان بضميره الغائب في قوله تعالى: (نبتليه) و(جعلناه)، وقد وضع الظاهر موضع المضمر بتكراره لفظ الإنسان، ولم يستغن عنه بالضمير، ويقول: (إنَّا خلقناه)، لزيادة التقرير؛ لأنه

يتميز بالعقل، وكان عليه أن يتذكر أنَّ الله سبحانه خلقه من العدم، وأنّه برز إلى الحياة بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، وَتَعْرِيفُ الْإِنْسَانِ لِلاسْتِغْرَاقِ، أَيْ: هَلْ أَتَى عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ حِينٌ كَانَ فِيهِ مَعْدُومًا، أَوْ تَكراره لاختلاف المدلول، إذ إنَّ الأول بمعنى آدم، و(أل) فيه للتعريف، والثاني بمعنى ولد آدم، (وأل) فيه لاستغراق الجنس[22]، فجنس الإنسان عموماً في الآيات الثلاث الأولى له بروز قويّ، تمهيداً لبيان ما لقسمَيه (الشاكر) و(الكفور) من مآل وعواقب بعد هداية الخالق له، وتوضيح طريقه، (إذ يجوز أن يكون (شاكرا وكفورا) حالين من الهاء في (هديناه)، أي: مكّناه وأقدرناه على حالتيه جميعاً، أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع، وكان معلوماً أنّه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة، ويجوز أن يكونا حالين من (السبيل)، أي: عرفناه، إما سبيلا شاكراً، وإما سبيلاً كفوراً)[23]، ويتبين ذلك في قوله تعالى: (هديناه السبيل) بضميرين بارزين: (نا) المتكلمين العائد على الخالق للتعظيم، ليتآزر مع الضمائر الأخرى الشبيهة له في الآيات السابقة، وهي: (إنا) و(خلقنا) و(نبتليه) و(جعلناه) و(إنا)، لتعطي النص قوة في التعبير عن عظمة الخالق. وكذلك (هاء) الغائب العائد على (الإنسان) المخلوق من نطفة أمشاج، المجعول سميعاً وبصيراً، المُهدى إلى سبيله، لاختياره الإيمان أو الكفر. وعبّر عن ذلك كله بالضمائر الغائبة: (لم يكن)، و(نبتليه)، و(جعلناه)، و(هديناه)، مع ذكر الإنسان مرتين، وذكر أوصافه: (السميع والبصير والشاكر والكفور). فأصبحت الآيات السابقة لوحة نصية يبرز فيها نوعان من الضمير، (ستة) ضمائر للمتكلمين العائدة على الله، و(أربعة) ضمائر غائبة العائدة على الإنسان، ولو أضفنا عليها ذكر الإنسان مرتين، لأصبحت نسبة الضمائر متوازياً. ويكون النص السابق كتلة واحدة في استعمال الضمائر من حيث مرجعياتها وعددها.

اللوحة النصية الثانية:

بعد الانتهاء من اللوحة النصية الأولى يتوجه الخطاب القرآني إلى الكافرين خطاباً سريعاً مجملاً، عن طريق استئناف بياني لقوله تعالى: ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الْإِنْسَان: 3]؛ قبل التفصيل عن ذكر حال المؤمنين التي احتلت مساحة واسعة في السورة؛ لأنَّ هذا القول (يُثِيرُ تَطَلُّعَ السَّامِعِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ آثَارِ هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ الْمُتَرَدِّدِ حَالُهُ بَيْنَهُمَا، فَابْتُدِئَ بِجَزَاءِ الْكَافِرِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَهُ أَقْرَبُ)[24]. أو أنَّ تقديم وعيد الكافرين مع تأخرِّهم على طريق اللف والنشر المعكوس[25]، ليتخلّص إلى الكلام على الفريق الأول بطريق الإطناب[26]؛ وكذلك ليعادل البداءة بالشاكر في أصل التقسيم، ليتعادل الخوف والرجاء، وليكون الشاكر أولاً وآخراً[27]؛ (ولأنَّ الإنذارَ أهمُّ وأنفعُ، وتصديرُ الكلام وختمُه بذكر المؤمنينَ أحسنُ، على أنَّ في وصفهم تفصيلاً ربَّما يُخلُّ تقديمُه بتجاوب أطراف النظم الكريم)[28].

فجاء باللوحة النصية الثانية المتمثلة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾، وفيها ضميران بارزان فقط، يعودان على المتكلم، وهو الله تعالى في (إنّا) و(أعتدنا)، وأكدَّ الضمير الأول بحرف التوكيد (إنَّ) عن الوعيد لأجل تكذيب الكفار، و(إِدْخَالِ الرَّوْعِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُتَوَعِّدَ إِذَا أَكَّدَ كَلَامَهُ بِمُؤَكِّدٍ، فَقَدْ آذَنَ بِأَنَّهُ لَا هَوَادَةَ لَهُ فِي وَعِيدِهِ)[29]، فيستعمل الله ضمير التعظيم في ذاته – تعالى–، ويقول: على ما لنا من العظمة (أعتدنا)، أي: هيَّأنا وأحضرنا بشدة وغلظة (للكافرين) خاصة سلاسل وأغلالا، وقدَّم الأسهل في العذاب، فالأسهل ترقّياً، فقال: (سلاسلاً) يقادون ويرتقون بها، (وأغلالاً)، أي جوامع تجمع أيديهم إلى أعناقهم فيها، فيهانون بها، (وسعيراً) أي: ناراً حامية جداً شديدة الاتقاد[30]، وبُرزَ دور الضميرين في بيان عظمة الله وقدرته على تحديد مصير الكافرين وعاقبتهم، وكانا مكملين لسلسلة ضمائر المتكلمين الواردة بكثرة في اللوحة النصية الأولى في الآيات السابقة، لتكون اللوحتان منسجمتين ومترابطتين، كأنَّهما كتلة نصية واحدة.

اللوحة النصية الثالثة:

وهي اللوحة النصية الكبرى في السورة، وتحتل مساحة كبيرة من حيث عدد آياتها، واستعمال الضمائر ومرجعياتها، إذ تشمل ثماني عشرة آية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۞ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۞ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۞ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۞ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۞ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۞ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۞ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۞ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۞ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۞﴾ (الإنسان: 5–22)، والضمائر فيها على أنواع وأشكال، من حيث استعمالها، ومرجعياتها، وجهاتها، فمنها ذات مرجعية واحدة، ومنها ذات مرجعية متعدِّدة، ومنها جهتها داخلية، ومنها خارجية، ومنها سابقة، ومنها لاحقة.

ويغلب ضمير جماعة الغائبين العائد على الأبرار أو ما في معناه في هذه اللوحة النصية؛ لأنَّ النص تفصيل لما للشاكرين من نعم، وفيها إطناب الْكَلَامِ عَلَى صِفَةِ جَزَاءِ الشَّاكِرِينَ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ. وَتَأْكِيدُ الْخَبَرِ عَنْ جَزَاءِ الشَّاكِرِينَ في قوله ﴿ إنَّ الأبرار﴾ بحرف التوكيد لدَفْعِ إِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ خَيْرًا مِنْهُمْ فِي عَالَمِ الْخُلُودِ، وَلِإِفَادَةِ الِاهْتِمَامِ بِهَذِهِ الْبِشَارَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ[31]. إذ يعود ضمير الجمع في ﴿يشربون﴾ في الآية الخامسة على (الأبرار)، ومرجعيته داخلية سابقة، وهم الشَّاكِرُونَ الذين ذُكروا في قوله تعالى في الآية الثالثة: ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾، وإيرادهم بعنوان البرّ، للإشعار بمَا استحقُّوا به ما نالوه من الكرامة السنية، زِيَادَةً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ. وَالْأَبْرَارُ: جَمْعُ بَرٍّ بِفَتْحِ الْبَاءِ، وَجَمْعُ بَارٍّ أَيْضًا، مِثْلُ شاهد وَأَشْهَادٍ، وَالْبَارُّ أَوِ الْبَرُّ الْمُكْثِرُ مِنَ الْبِرِّ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَهُوَ فِعْلُ الْخَيْرِ[32].

أما ضميرا الغائبة في قوله تعالى: ﴿يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ و﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ فيعودان على الكأس، ومفعول (يشربون) محذوف، أي: يشربون كأساً أو خمراً من كأس كان مزاجها كافوراً، والكأس: الزجاجة إذا كانت فيها خمر، وتُسمّى الخمر نفسها كأساً، و((مِنْ) لِلتَّبْعِيضِ فعْلًا، وَأَنَّ شُرْبَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى سَبِيلِ التَّرَفُّهِ وَالتَّلَذُّذِ، وَهِيَ عَادَةُ الْمُتْرَفِينَ الْمُنَعَّمِينَ، يَشْرَبُونَ بَعْضَ الْكَأْسِ لَا كُلَّهُ، لأَنَّهُمْ لَا يَشْرَبُونَ عَنْ ظَمَأٍ[33]. ومعنى: (يشرب

بها عباد **الله**)، أي يشربون العين بتلك الكأس، والباء للإلصاق[34]. وبيَّن الزمخشري (ت538هـ) سبب تعدية الفعل يشربون بالباء في الأول، ثم تعديته بـ(من) في الثاني بقوله: (فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلا، وبحرف الإلصاق آخرا؟ قلت: لأنّ الكأس مبدأ شربهم، وأوّل غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم، فكان المعنى: يشرب عباد **الله** بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل)[35]. فحقق بهذين الضميرين اللذين يرجعان على الكأس سقاية نوعين من الشراب، الخمر الخالص، وماء العين الذي يمزج مع الشراب، وكلاهما يشربان بوساطة الكأس.

ثمَّ يواصل نسق الآيات في ذكر سلسلة الضمائر العائدة على الأبرار، ليبين أنَّ هذه العين تفجر وفق ما يشتهيه الأبرار، لذلك قال: (يُفَجِّرونها تفجيراً)، بالمصدر الدال على التوكيد، و«أنَّ أحدهم إذا أراد أن ينفجر له الماء شقَّ ذلك الموضع بعود يجري فيه الماء»(36). وليس معنى واو الجماعة في (يفجّرونها) أنّهم يقومون بفعل التفجير جماعة مع بعض، فيفهم من ذلك الضعف مثلا، بل معناه: أنَّ كل واحد من الأبرار لو أراد عينا يقوم بتفجيرها لنفسه وحده، تكريماً له، ثمَّ يتنقل النص الذي يتكلم في زمن يوم القيامة، وما يحصل عليه الأبرار فيه. إلى ذكر أسباب وصولهم إلى تلك النعم في الدنيا، فيقول: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞**﴾، وتتآزر فيها مجموعة من ضمائر متنوعة، لتجعل النص وحدة متماسكة، وهي ضمائر جماعة الغائبين العائدة على الأبرار، وهي: (ون) في: (يوفون) و(يخافون)، و(يطعمون)، و(نا) المتكلمين في (نطعمكم)، و(لا نريد)، و(إنا)، و(نخاف)، و(ربّنا)، ويظهر في هذه السلسلة النصية الالتفات من ضمير الغائبين الذين يتكلّم عنهم **الله** –سبحانه وتعالى–، ويزكيهم يوم القيامة بأنّهم كانوا في الدنيا يوفون بالنذر، ويخافون يوم القيامة، ويطعمون الطعام للفقراء، إلى ضمير المتكلمين، ليتحدثوا عن أنفسهم، ويبيّنوا سبب إطعامهم للفقراء بقولهم: نطعمكم لوجه **الله**، لا نريد الجزاء والشكر، وإنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، والقمطرير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه، أو الصعب الشديد، أشدّ ما يكون من الأيام، وأطوله في البلاء[37].

أما الضمير الغائب الوحيد في هذه السلسلة النصية فهو في قوله تعالى: ﴿**علي حبّه**﴾، (واخْتُلِفَ في مَرْجِعه، هَلْ هُوَ رَاجِعٌ عَلَى الطَّعَام، أَمْ عَلَى **الله** تَعَالَى؟ أَيْ: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّ الطَّعَام لِقِلَّتِه عِنْدَهُمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَيْه، أَمْ عَلَى حُبِّ **الله** رَجَاءَ ثَوَابِ **الله**؟ وَقَدْ رَجَّحَ ابْنُ كَثِيرٍ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ... وَفِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ قَرِينَةٌ تَشْهَدُ لِرُجُوعِهِ لِلطَّعَامِ ... وَهِيَ قَوْلُهُ –تَعَالَى– بَعْدَهَا: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى حُبِّ **الله**، مِمَّا يَجْعَلُ الْأَوْلَى لِلطَّعَام، وَهَذِهِ **لله**. وَالتَّأْسِيسُ أَوْلَى مِنَ التَّأْكِيدِ، فَيَكُونُ السِّيَاقُ: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَاجَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَلِوَجْهِ **الله** تَعَالَى – **وَاللَّهُ** تَعَالَى أَعْلَمُ)[38].

ثمَّ يرجع بالنص إلى زمن التكلّم وهو يوم القيامة، ليبيّن حال الأبرار في الجنة، ويتحدَّث عنهم بعد أن مهّد الكلام ببيان ما هو جزاؤهم يوم القيامة، وأشار إليهم بضمير الغائبين (هم) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞**﴾فـ(وقاهم) شر يوم القيامة، و(لقَّاهم) نَضْرَةً في الوجوه، وَسُرُوراً في القلوب، وَجَزَاهُمْ بما صَبَرُوا على طاعة **الله**، واجتناب محارمه، والدعوة لسبيله، واحتمال الأذى، جَنَّةً وَحَرِيراً يلبسونه، ويتزيّنون به[39]، ثمَّ يواصل ذكر ما ينالون من نعم، مشيراً إلى حالهم بضمير الجماعة أيضاً، بقوله تعالى: ﴿**مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا**﴾ (الإنسان: 13)، فقوله: ﴿**متكئين**﴾ حال من ضمير الجمع في (جزاهم)، أي: هم في الجنة متكئون على الأرائك[40]، والضمير في ﴿**لا يرون**﴾، وهو ضمير الجمع أيضاً عائد على الأبرار، على نسق الضمائر الأخرى المماثلة.

أمَّا ضمير الغائبة في (فيها) مرتين في الآية السابقة فعائد على الجنة[41]. وتكرار الضمير له وظيفة دلالالية، بيَّنها الدكتور فاضل السامرائي بقوله: (كرَّر ضمير (فيها) مرتين، فقال: ﴿**متكئين فيها، لا يرون فيها**﴾، وذلك لأنَّ حذف الثانية يوقع في اللبس، فإنَّه لو قال: (لا يرون شمساً ولا زمهريراً) لأوهم أنَّ عدم الرؤية هذه هي عند الاتكاء على الأرائك، فإذا غادروا مكان الجلوس رأوا فيها الشمس والزمهرير، فذكر (فيها) لإفادة أنَّه ليس في الجنة شمس ولا زمهرير، وليس نفي الرؤية عند الاتكاء فقط)[42].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**﴾، الضمير في (ظلالها) عائد على الجنة، وفي (عليهم) عائد على الأبرار.

وضمير الجمع في (يسقون) في قوله تعالى: ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا**﴾عائد على الأبرار، والضمير في (فيها) للجنة، أي: ويسقون الأبرار في هذه الأكواب في الجنة خمراً ممزوجة بالزنجبيل[43]، كما أنَّ ضمير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿**عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى ۞ سَلْسَبِيلًا**﴾ يعود على الجنة.

وضمير الجمع في (عليهم) و(عاليهم) في قوله تعالى: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۞ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۞ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾ عائد على الأبرار أيضاً[44]، أما ضمير المخاطب في (رأيتهم) و(رأيتَ)، فيعود على النبي (صلى **الله** عليه وسلم) المخاطب المباشر بهذه الآيات، أي: إذا (نظرت في الجنة، ورميت بطرفك ما أوتي الأبرار رَأَيْتَ نَعيماً وَمُلْكاً كَبيراً، أي: واسعاً، لا ينفذه البصر)[45]، وهذا التفات من ذكر الضمائر الغائبة إلى الضمير المخاطب، ليجعل النبي (صلى **الله** عليه وسلم) أن يشهد واقع حال الأبرار، ونعيم الجنة، تشويقاً له، وضمير الجمع الواقع مفعولا به في قوله: (رأيتهم)، و(حسبتهم) يعود على الولدان، أي: (إذا أبصرتهم ظننتهم –لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم– اللؤلؤ المفرَّق المضيء)[46]، حسناً وتناسباً[47].

و(عاليَهم) بالنصب حالٌ من الضمير في (يَطوف عليهم)، أو في (حَسِبْتَهم)، أي: يطوفُ عليهم وِلْدانٌ عالياً للمَطوف، عليهم ثيابٌ، أو حَسِبْتَهم لؤلؤاً، عاليَهم ثيابٌ[48].

وتنتهي هذه اللوحة النصية بذكر سقاية هي من نوع خاص، يختلف عن السقايتين السابقتين، لما يمتاز هنا الأبرار بتكريم من نوع آخر من ربِّهم، وهو قيامه جل وعلا بسقايتهم، لذا قال أبو

السعود (ت982هـ) في قوله تعالى: ﴿**وَسَقَاهُم رَبُّهُم شَرَابًا طَهُورًا**﴾: (هو نوعٌ آخرُ يفوقُ النوعينِ السالفين، كما يرشدُ إليه إسنادُ سقيهِ إلى ربِّ العالمينَ، ووصفُه بالطَّهورية، فإنَّه يطهرُ شاربَهُ عن دَنَسِ الميلِ إلى الملاذِّ الحسية، والركونِ إلى ما سوى الحقِّ، فيتجردُ لمطالعة جماله، ملتذاً بلقائه، باقياً ببقائه، وهي الغايةُ القاصيةُ من منازلِ الصدِّيقينَ، ولذلكَ خُتِمَ بها مقالةُ ثوابِ الأبرار)[49].

وضمير جماعة المتكلمين في (نزلنا) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا**﴾ عائد على الله –عز وجل–، وضمير الخطاب في (عليك) عائد على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومرجعيته خارجية سابقة.

وفي قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾ يعود الضمير المجرور في (منهم) على المشركين، ولم يتقدَّم لهم ذكر؛ لأنَّهم معلومون من السياق، أو لأنَّهم المفهومون من قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا**﴾، أي: لا كما يزعم المشركون: أنَك جئت من تلقاء نفسك[50]، فهو ذو مرجعية خارجية أيضاً.

اللوحة النصية الرابعة:

وهي في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۞ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۞ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۞ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ۞ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ۞ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞**﴾(الإنسان: 23–31)، وفي هذه اللوحة النصية يتحوَّل الخطاب من الكلام عن الأبرار في الجنة إلى الخطاب المباشر مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، ليؤكد له نبوَّته، وإنزال القرآن عليه، باستعمال ضمير التعظيم، المسبوق بحرف التوكيد، والمفعول المطلق المؤكد للفعل المؤكد أيضا في بنائه بالتضعيف في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا**﴾، وتثبيته على حكم الله، وعدم إطاعة الكافرين، تصبيرا له على أذاية قومه له، وتحمّل ثقلهم، إلى أن يأتيه الفرج العام، والنّصر المبين الذي وعده الله به، وكلُّ ذلك بإخلاص العبادة له، ودوام السجود بكرة وأصيلا، لذلك نرى أكثر الضمائر الواردة في هذه اللوحة النصية هي ضمائر الخطاب، بارزة أو مستترة، نحو: (عليك)، (فاصبر)، (ربّك)، (فاسجده)، و(سبِّحه).

ثمَّ يتحول الخطاب مرة أخرى إلى الكلام عن المشركين الذين بدأ بهم الكلام في الآيات الأولى في السورة، لبيان عاقبتهم على نحو مجمل دون تفصيل، ولكن الله –تعالى– هنا يتحدّاهم، ويبيّن للنبي (صلى الله عليه وسلم) ضعفهم، وسهولة استبدالهم بغيرهم، ويبيِّن سذاجتهم بتفضيلهم الدنيا على الآخرة، مستعملا في ذلك كله ضمائر الجماعة التي تعود على المشركين في: (يحبون)، و(يذرون)، و(خلقناهم) و(أسرهم) و(أمثالهم)، وكأنَّ هذه اللوحة النصية ختام للوحة النصية الأولى التي تكلمت عن خلق الإنسان، للتناسب وتتناسق خاتمة السورة مع بدايتها، إذ إنَّها (بعد أن عرضت الآيات السابقة وجود الإنسان، ولفتته إلى أصل خلقه، وأين كان؟ وكيف بدأ؟ وإلى أين صار؟ وبعد أن لقيت هذا الإنسان بما سيلقى فى الآخرة عن عذاب ونكال، إذا هو كفر بالله، وجحد حق خالقه عليه، وما سيلقى من نعيم ورضوان، إذا هو عرف ربه، وذكر حقَّه عليه، وخاف مقامه بين يديه عادت آيات الله، تدعو النبي– صلوات الله وسلامه عليه– إلى حضرة ربِّه –سبحانه وتعالى–، لتسمعه حديثه إليه، فيلقاه الحق –سبحانه وتعالى– بقول: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا**﴾)[51].

ثمَّ في خاتمة السورة يحوِّل بجهة الخطاب من الغيبة إلى المخاطب، بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ۞ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞**﴾، فبعد أن أشار إلى من وجّه إليهم التذكرة بضمير الغائب، (شاء)، و(اتخذ) التفت بهم إلى الخطاب في قوله: (تشاؤن)، وهذا لتحريك السامعين، وتشويقهم إلى الكلام، ويكون عندهم أذان ضاغية لتلقي التوجيهات.

2. الضمائر ذات المرجعيات المتعددة:

من الأساليب البليغة في توظيف الضمائر، والاتساع فيها، بحيث تؤدي دلالات عدة بدقة، تنوعُ مرجعيات الضمير، إذ نجد ضميرا واحدا يرجع إلى مرجعين متنوعين، أو أكثر، توفيرا لمعان كثيرة بلفظ واحد، ولا يقدم على هذا الاستعمال الدقيق، والقدرة على توظيف الألفاظ، إلا البليغ، والقرآن الكريم في أعلى مراتب البلاغة والفصاحة، لذلك نجد فيه هذا التنوع بكثرة، وما ورد في سورة الإنسان من تنوع مرجعيات الضمير:

ضمير واو الجماعة في (يفجرونها) في قوله تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞**﴾، إذ إنَّه يرجع على الأبرار، على نسق الضمائر الواردة في (الأفعال المضارعة) الأخرى في السورة الكريمة، فالواو إذن ترجع على عباد الله الذين ينعم الله عليهم في الجنة، ومن تلك النعم تفجير العين، إذ (إنَّ الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره؛ وذلك قوله تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾، أي: يُشقِّقونها شَقًّا، كما يفجر الرجل النهر ها هنا وها هنا إلى حيث يريد)[52].

ويجوز أن ترجع الواو على الملائكة الذين وكَّلهم الله لخدمة أهل الجنة، فيقومون بتفجير الأنهار لهم حيث أرادوا، وبذلك تكون مرجعية الضمير خارجية سابقة، تفهم من سياق الكلام، وبقرينة معنوية، إذ يعرف المتلقي أنَّ هناك ملائكة يقومون بخدمة المؤمنين في الجنة، كما هي حال الولدان الذين يطوفون بهم. فيكون إذن للضمير مرجعيتان، توسعا في الدلالة وتحقيقا للانسجام.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾، جعل الإمام الرازي (ت606هـ) للضمير في (حبِّه) مرجعين: (أحدهما: أن يكون الضمير للطعام مع اشتهائه، والحاجة إليه، والثاني: ... على حبِّ الله، أي: لحبِّهم لله، واللام قد تقام مقام (على)، وكذلك تقام (على) مقام اللام)[53].

والضمير في (قطوفها) في قوله تعالى: ﴿**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**﴾، إما عائد على (الجنة)، وإما عائد على (ظلالها)، باعتبار الظلال كناية عن الاشجار[54].

وضمير الجمع في (قدروها) في قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرا ﴾(الإنسان:16)، (يجوز أن يكون عائداً على (الأبرار)، أو (عباد الله) الذي عادت إليه الضمائر المتقدمة في قوله: (يفجرونها)، و(يوفون) ..... فيكون المعنى: رغبتهم أن تجيء على وفق ما يشتهون، ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى نائب الفاعل المحذوف المفهوم من بناء (يُطاف) للمفعول، أي: الطائفون عليهم بها قدّروا الآنية والأكواب، أي: قدَّروا ما فيها من الشراب، على حسب ما يطلبه كل شارب منهم..... وكان ممَّا يعد في العادة من حذق الساقي أن يعطي كلَّ أحد من الشرب ما يناسب رغبته)[55]. وقد ذكر أبو حيان (ت745هـ) ذلك بقوله: (وقيل الضمير للطائفين بها، يدلُّ عليه قوله: (ويطاف عليهم)، على أنهم قدَّروا شرابها على قدر الري، وهو ألذُّ الشراب، لكونه على مقدار حاجته، لا يفضل ولا يعجز)[56].

3. تحوّل جهة الضمير من الغيبة إلى الخطاب (الالتفات):

إنَّ مرجعية الضمير واحدة في قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۞ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۞﴾، إذ ترجع على (الأبرار)، ولكن التفت من جهة الغيبة (هم) في (عاليهم)، و(سقاهم) إلى الخطاب (كم)، في (لكم)، و(سعيكم)، ليوجَّه النعم إلى المؤمنين مباشرة، ويكلِّمهم الله بنفسه، تكريماً لهم، وإعلاءً لشأنهم، وتقريراً لصدورهم بالكلام معهم، والجدول الآتي بيان ذلك:

الوحدات / سماتها	عاليهم	حلوا	سقاهم	لكم	سعيكم	مرجعية الضمير	نوع المرجعية
نوع الضمير	جمع	جمع	جمع	جمع	جمع	الأبرار	داخلية سابقة
جهته	غياب	غياب	غياب	خطاب	خطاب		
موقعه الإعرابي	مضاف إليه	فاعل	مفعول به	في محل جر	مضاف إليه		
الفعل	______	ماض	ماض	_____	_____		

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۞ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞﴾ التفت بالضمير من الغيبة: (فمن شاء اتخذ) إلى الخطاب: (وما تشاءون)، ليحرّك السامع، ويثيره، فتغيير الأسلوب ربَّما يعقبه تغيير النفوس[57]، ووجَّه الخطاب إليهم مباشرة، كي تكون لهم آذان صاغية في الاستسلام بأنَّه لا مشيئة من دون مشيئة الله، مهما حاولت النفوس، وكدّت، وخططت لذلك، وبيانه في الجدول الآتي:

الوحدات / سماتها	فمن شاء (هو)	وما تشاءون	مرجعية الضمير	نوع المرجعية
صفة الضمير	مفرد	جمع	الإنسان	داخلية سابقة
جهته	غياب	خطاب		
موقعه	فاعل	فاعل		
الفعل	______	______		

4. ترسيم الضمائر الواردة في سورة الإنسان ومرجعياتها:

أ. ترسيم الضمائر البارزة:

الآية ورقمها	الضمير	صفة الضمير	مرجعية الضمير	نوع المرجعية
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)﴾	إنَّا	جمع (للتعظيم)	الله	خارجية سابقة
	خلقنا (نا)	جمع (للتعظيم)	الإنسان	داخلية سابقة
	نبتليه (الهاء)	مفرد	الإنسان	داخلية سابقة
	فجعلناه (نا)	جمع	الله	خارجية سابقة
	الهاء	مفرد	الإنسان	داخلية سابقة
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)﴾	هديناه (نا)	جمع (للتعظيم)	الله	خارجية سابقة
	(الهاء)	مفرد	الإنسان	داخلية سابقة
﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4)﴾	أعتدنا (نا)	جمع (للتعظيم)	الله	خارجية سابقة
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5)﴾	يشربون (ون)	جمع	الأبرار	داخلية سابقة
	مزاجها (الهاء)	مفرد	الكأس	داخلية سابقة
﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6)﴾	بها (الها)	مفرد	العين	داخلية سابقة
	يفجرونها(الهاء)	مفرد	العين	داخلية سابقة
	يفجرونها (الواو)	جمع	الملائكة، أو الأبرار	خارجية

الآية ورقمها	الضمير	صفة الضمير	مرجعية الضمير	نوع المرجعية
﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7)﴾	يوفون (الواو) يخافون (الواو) شره (الهاء)	جمع جمع مفرد	الأبرار، عباد الله الأبرار، عباد الله يوم القيامة	داخلية سابقة داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8)﴾	يطعمون (الواو) حبه (الهاء)	جمع مفرد	الأبرار، عباد الله الطعام و(الله)	داخلية سابقة داخلية سابقة خارجية سابقة
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)﴾	نطعمكم (كم) منكم (كم)	جمع جمع	للذين يطعمونهم يتيم، مسكين، أسير، الأبرار، عباد الله	داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10)﴾	إنا (نا) ربنا (نا)	جمع جمع	الأبرار الأبرار	داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11)﴾	وقاهم (هم) ولقاهم (هم)	جمع جمع	الأبرار الأبرار	داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12)﴾	جزاهم (هم) صبروا	جمع جمع	الأبرار الأبرار	داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13)﴾	يرون (الواو) فيها (ها) فيها (ها)	جمع مفرد مفرد	الأبرار الجنة الجنة	داخلية سابقة داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14)﴾	ظلالها (الهاء) قطوفها (الهاء)	مفرد مفرد	الجنة الجنة	داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15)﴾	عليهم(هم)	جمع	الأبرار	داخلية سابقة
﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16)﴾	قدروها (الهاء)	مفرد	القوارير (الكأس)	داخلية سابقة
﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (17)﴾	فيها مزاجها	مفرد مفرد	الجنة الكأس	داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (18)﴾	فيها (الهاء)	مفرد	الجنة	داخلية سابقة
﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (19)﴾	عليهم (هم) رأيتهم (هم) حسبتهم (هم)	جمع جمع جمع	الأبرار الأبرار الولدان	داخلية سابقة داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20)﴾	رأيت (التاء)	مفرد	الرسول (صلى الله عليه وسلم)	خارجية سابقة
﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21)﴾	عاليهم (هم) حلوا (الواو) سقاهم(هم) ربهم (هم)	جمع جمع جمع جمع	الأبرار الأبرار الأبرار الأبرار	داخلية سابقة داخلية سابقة داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (22)﴾	لكم (كم) سعيكم (كم)	جمع جمع	الأبرار الأبرار	داخلية سابقة داخلية سابقة
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا (23)﴾	إنا (نا) نحن نزلنا (نا) عليك (الكاف)	جمع جمع مفرد	الله الله الرسول (صلى الله عليه وسلم)	خارجية سابقة خارجية سابقة
﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24)﴾	منهم (هم)	جمع	المشركون	خارجية سابقة
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25)﴾	ربك (الكاف)	مفرد	النبي	خارجية سابقة
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26)﴾	فاسجدله (الهاء) وسبحه (الهاء)	مفرد مفرد	الله الله	خارجية سابقة خارجية سابقة
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا(27)﴾	يحبون (الواو) يذرون (الواو) ورائهم (هم)	جمع جمع جمع	الكفار الكفار المشركون	خارجيةسابقة خارجية سابقة خارجية سابقة

الآية ورقمها	الضمير	صفة الضمير	مرجعية الضمير	نوع المرجعية
﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا (28)﴾	خلقناهم (هم) أسرهم (هم) أمثالهم (هم) شئنا (نا) بدلنا (نا) أمثالهم (هم)	جمع جمع جمع جمع جمع جمع	المشركون المشركون المشركون الله الله المشركون	خارجية سابقة خارجية سابقة خارجية سابقة خارجية سابقة خارجية سابقة خارجية سابقة
﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا (29)﴾	ربه (الهاء)	مفرد	الإنسان	داخلية سابقة
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30)﴾	تشاؤون (الواو)	جمع	الإنسان	داخلية سابقة
﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)﴾	رحمته (الهاء) لهم (هم)	مفرد جمع	الله الظالمون (المشركون)	خارجية سابقة داخلية سابقة

ب. ترسيم الضمائر المستترة:

الآية ورقمها	الضمير	صفة الضمير	المرجعية	نوع المرجعية
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (1)﴾	يكن	مفرد غائب	الإنسان	داخلية سابقة
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)﴾	نبتليه	جماعة المتكلمين	الله	خارجية سابقة
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)﴾	نطعمكم لا نريد	جماعة المتكلمين جماعة المتكلمين	الله الله	خارجية سابقة خارجية سابقة
﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10)﴾	نخاف	جماعة المتكلمين	الأبرار	داخلية سابقة
﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرا (12)﴾	جزاهم	مفرد غائب	الله	خارجية سابقة
﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرا (16)﴾	قدّروها	مفرد غائب	الولدان،أو الأبرار	داخلية سابقة
﴿عَيناً فِيهَا تُسَمَّى سَلسَبِيلا (18)﴾	تسمّى	مفردة غائبة	العين	داخلية سابقة
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلا(23)﴾	فاصبر	مخاطب	النبي	خارجية سابقة
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا (25)﴾	واذكر	مخاطب	النبي	خارجية سابقة
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلا (26)﴾	فاسجد وسبحه	مخاطب	النبي	خارجية سابقة
﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)﴾	يدخل أعدَّ	مفرد غائب	الله الله	خارجية سابقة خارجية سابقة

5. الإحصاء العددي لورود الضمائر في سورة الإنسان:

أولا/ الضمائر البارزة:

أ. ورد ضمير (هم) في سورة الإنسان (61) مرة، ومنها:

(9) مرات للأبرار.

(5) مرات للمشركين.

(مرتان) للولدان.

ب. ورد ضمير (الهاء للمؤنث) في السورة (11) مرة، ومنها:

(6) مرات للجنة.

(3) مرات للكأس.

(مرتان) للعين.

ت. ورد ضمير (الهاء للمذكر) في السورة (9) مرات، ومنها:

(4) مرات للإنسان.

(3) مرات لله -تعالى-.

(مرة واحدة) لليوم.

(مرة واحدة) للطعام أو لحب الله.

ث. ورد ضمير (ون) في السورة (9) مرات، ومنها:

(6) مرات للأبرار.ز

(مرتان) للمشركين.

(مرة واحدة) للإنسان.

ج. ورد ضمير (نا) في السورة (11) مرة، منها:

(9) مرات لله -سبحانه وتعالى-

(مرتان) للأبرار.

ح. ورد ضمير (كم) (4) مرات، ومنها:

(مرتان) للأبرار.

(مرتان) للذين يطعمون الأبرار.

خ. ورد ضمير (كاف الخطاب) (3) مرات، وكلها تعود على الرسول (صلى الله عليه وسلم).

د. ورد ضمير (تاء الخطاب) (4) مرات تعود على النبي (صلى الله عليه وسلم)، أو لغير معيَّن، على تعدد المرجعية.

ذ. ورد ضمير (نحن) مرتين، يعودان على الله –عز وجل–.

ثانياً/ الضمائر المستترة:

أ. ورد ضمير المتكلمين المستتر(3) مرات، وكلُّها تعود على الله –جل وعلا– للتعظيم.

ب. ورد ضمير المخاطب المفرد المستتر (3) مرات أيضا، وكلُّها تعود على النبي (صلى الله عليه وسلم)، أو على غير معين

ت. ورد ضمير الغائب المفرد المستتر (5) مرات، ومنها:

(مرة واحدة) للإنسان.

(3) مرات تعود على الله

(مرة واحدة) للولدان أو الأبرار، على تنوع المرجعية

ث. ورد ضمير الغائبة المفردة المستترة مرة واحدة ويعود على العين.

فنجد على وفق الإحصائية الموجودة أنَّ مجموع الضمائر التي وردت في سورة الإنسان هو (78) ضميرا، منها (66) ضميراً بارزا، و(12) ضميرا مستترا.

وبناءً على هذه الإحصائية نلاحظ أنَّ الضمائر التي تعود على الأبرار يصل مجموعها إلى (20) ضميراً، وهي النسبة الأكثر في السورة قياسا بالضمائر التي تعود على المشركين، وهذا أمر معتاد، لأن سياق السورة يتحدَّث عن الأبرار، وسمات هؤلاء الأبرار، وجزائهم، ووصف ما لهم عند ربهم من الجنان والثواب.

وفي المقابل نجد أنَّ الضمائر التي تعود على المشركين أقلُّ عدداً، إذ تبلغ (7) ضمائر؛ لأنَّ وصف الأبرار في السورة غلب على وصف الجاحدين والمشركين.

وإنَّ الضمائر التي تعود على الله –عز وجل– وردت بنسبة كبيرة، إذ تبلغ (21) ضميراً بارزا ومستترا، وهذا يدلُّ على بيان قدرة الله على خلق الإنسان، وعلى الكون بأسره، ويثبت أنَّ كلَّ شيء بيده –تبارك وتعالى–، وهو الذي قد هيَّأ للمؤمنين الجنة، وللكافرين النار.

والضمائر التي تعود على لفظ الإنسان تبلغ (6) ضمائر، و(الإنسان) يمثل نواة السورة، أو الفكرة الأساس في السورة، وهو مايسمى بـ(بؤرة النص)، والسورة كلها تدور حول الإنسان قبل وجوده وهو نطفة أمشاج، وبعد خروجه من الدنيا، وبيان خاتمته ومصيره.

ولو أضفنا إلى ذلك الضمائر العائدة على الرَّسول والأبرار، وكذلك العائدة على الفجار، لارتفعت نسبة الضمائر العائدة على الإنسان إلى (46) ضميراً، لتأخذ الضمائر العائدة على الإنسان المرتبة الأعلى في استعمال الضمائر في السورة، وهذا يؤكد انسجام استعمال الضمائر مع موضوع السورة الأساس وعنوانها (الإنسان).

نتائج البحث:

1. نلاحظ في سورة الإنسان ترسيماً بليغا للضمائر ومرجعياتها، إذ تؤدي الضمائر الواردة في هذا النص البليغ دورا بارزاً في تماسكه وانسجامه مع مرجعياتها كماً ونوعاً.

2. في السورة أربع لوحات نصية، اللوحة الأولى تتحدث عن جنس الإنسان عموماً، واللوحة الثانية: تتحدث عن الإنسان الكافر فقط، واللوحة الثالثة تتحدث عن الإنسان المؤمن، واللوحة الرابعة: تتحدث على نحو متنوع، ففيها الكلام على المشركين، وكذلك الكلام على الإنسان بشكل عام وتكون بذلك نهاية السورة متناسبة مع بدايتها.

3. يبرز في اللوحة النصية الأولى التي تشمل الآيات الثلاث الأولى في سورة الإنسان نوعان من الضمير، (ستة) ضمائر للمتكلمين العائدة على الله، و(أربعة) ضمائر غائبة العائدة على الإنسان، ولو أضفنا عليها ذكر الإنسان مرتين، لأصبحت نسبة الضمائر متوازياً. ويكون النص بذلك كتلة واحدة في استعمال الضمائر من حيث مرجعياتها وعددها، إذ فيه الكلام على الخالق والمخلوق (الإنسان).

4. اللوحة النصية الثالثة تتمثل في آية واحدة وتتحدث عن الإنسان الكافر تحدّثاً سريعاً مجملاً عن طريق استئناف بياني لقوْله تعالى: ﴿**إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾ (الْإِنْسَان: 3)؛ قبل التفصيل عن ذكر حال المؤمنين التي احتلت مساحة واسعة في السورة؛ وفيها ضميران بارزان فقط، يعودان على الله تعالى في (إنَّا) و(أعتدنا)، وأكد الضمير الأول بحرف التوكيد (إنَّ) للدلالة على قوة الوعيد المتوجه إلى الكفار وتكذيببهم.

5. اللوحة النصية الكبرى في السورة هي اللوحة الثالثة، إذ تحتل مساحة كبيرة من حيث عدد آياتها واستعمال الضمائر ومرجعياتها، وتشمل (ثماني عشرة) آية من إجمالي عدد الآيات (الواحدة والثلاثين)، والضمائر فيها على أنواع وأشكال من حيث استعمالها ومرجعياتها وجهاتها، فمنها ذات مرجعية واحدة، ومنها ذات مرجعية متعددة، ومنها ذات جهة داخلية ومنها خارجية ومنها سابقة ومنها لاحقة. وضمير جماعة الغائبين العائد على الأبرار، أو ما في معناه هو الغالب في هذه اللوحة النصية، لأن النص تفصيل لما للشاكرين من نعم، وإطناب لوصف جزائهم.

6. وفي اللوحة النصية الرابعة والأخيرة يتحول الخطاب من الكلام عن الأبرار في الجنة إلى الخطاب المباشر مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، ليؤكد له نبوته وإنزال القرآن عليه باستعمال ضمير التعظيم المسبوق بحرف التوكيد، وإنَّ أكثر الضمائر الواردة في هذه اللوحة النصية هي ضمائر الخطاب المتوجهة إلى النبي بارزة أو مستترة، نحو: (عليك)، (فاصبر) (ربّك) (فاسجده) و(سبحه). ثمَّ يتحول الخطاب مرة أخرى إلى الكلام عن المشركين بطريق ضمائر الجماعة الغائبين التي تعود على المشركين في: (يحبون)، و(يذرون)، (خلقناهم) و(أسرهم) و(أمثالهم)، وتختم بهذه اللوحة النصية اللوحة النصية الأولى التي تكلمت عن خلق الإنسان في بداية السورة، للتناسب وتتناسق خاتمة السورة مع بدايتها خلقاً وعاقبة ومآلاً. ثمَّ في خاتمة السورة يتحول جهة الخطاب مرة أخرى من الغيبة إلى المخاطب، من ضمير الغائب في (شاء)، و(اتخذ) إلى

ضمير الخطاب في: (تشاؤن) تحريكاً للسامعين وتشويقاً لتلقي التوجيهات.

7. يلاحظ في السورة ضمائر ذات مرجعيات متعددة، وهذا من الأساليب البليغة في توظيف الضمائر، والاتساع فيها، بحيث تؤدي دلالات عدة بدقة، توفيرا لمعان كثيرة بلفظ واحد.

8. يلاحظ التفات من جهات بعض الضمائر في السورة تحريكا للسامع وإثارة له، بتغيير الأسلوب الذي قد يعقبه تغيير النفوس.

9. مجموع الضمائر التي وردت في سورة الإنسان هو (78) ضميرا، منها (66) ضميراً بارزا، و(12) ضميرا مستترا. وعدد الضمائر العائدة على الإنسان على نحو عام (الرَّسول والأبرار والإنسان) يبلغ (46) ضميراً، وتأخذ بذلك المرتبة الأعلى في استعمال الضمائر في السورة، وهذا يؤكد انسجام استعمال الضمائر مع موضوع السورة الأساس وعنوانها (الإنسان).

الهوامش:

1. الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تحقيق: الدكتور: مهدي المخزومي، والدكتور: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت (د.ت): 3/ 298.
2. ابن سيدة المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، (2000م) : 7/4.
3. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط1، (1956م): 11/168.
4. ينظر عبد الحميد بو ترعة، الإحـالة النصيّة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية، بحث منشور في مجلة الأثر– جامعة قاصدي مرباح– ورقلة– الجزائر، العدد: 16، (2012): 1.
5. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة الزهراء الشرق– القاهرة، ط1، (2006): 116.
6. براون جورج بول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي منشورات جامعة الملك سعود– الرياض (1997م): 238..
7. محمد الخطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء– المغرب، ط2، (2006م): 16..
8. ينظر: تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب– بيروت، ط1، (1420هـ/2000م): 89.
9. أنس محمود فجال، الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة صنعاء، (1428هـ2009–م): 128.
10. الجوهري، الصحاح، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة– بيروت، ط1، (1426هـ/2005م). 722/2، وينظر: الصبان حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، (1417هـ/ 1977م): 240/1، وأحمد الحازمي، فتح رب البرية في (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي) دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، (1417هـ/ 1977م): 430.
11. ينظر: شهاب الدين الأندلسي الحدود في علم النحو، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، منشورات مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112، السنة 33، (1421هـ/2001م): 431، والصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: 240/1، وفاضل السامرائي: معاني النحو، دار الفكر– عمان، ط 1، (1420هـ/2000م): 1/ 42.
12. ينظر: السكاكي، مفتاح المعلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت): 30.
13. ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، انتشارات ناصر خسرو– طهران، ط 3، (1426هـ): 1/ 196..
14. ينظر: محمد الشاوش: ينظر أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية– تونس، ط 1، (1421 هـ /2001 م): 1/ 126.
15. ينظر: المصدر نفسه: 2/ 1103.
16. ينظر: عباس حسن، النحو الوافي: 1/ 197.
17. ينظر: حسين عبدالله صالح الموساي، سورة الأعراف دراسة نصية، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، (1423هـ/2002م): 148.
18. المصدر نفسه: 148 .
19. الاسترآبادي، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: محمد نور الحسن، دار الشوق– بيروت، (1398هـ/1978م):1/ 238
20. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب– القاهرة، ط 4، (1425هـ/2004 م): 113 .
21. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية – تونس، (1984م): 372/29، وأحمد الخراط، المجتبى في مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: (1426ه): 1396/4.
22. ينظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور: أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور: عبد الرحمن عويد، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، (1415هـ/199 م): 398/4، وأمالي ابن الشجري، الأمالي النحوية، الأمالي في النحو: (الأمالي الشجرية، دائرة المعارف العثمانية– حيدر آباد الدكن، الهند، (1349هـ): 323/1، و أبو العباس الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، (1423هـ / 2002 م): 193/ 7، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 372/29.
23. محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه–، دار اليمامة – بيروت، دار ابن كثير– دمشق، دار الإرشاد – حمص، ط 9، (1424هـ/ 2003 م): 578/3.
24. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 377/29.
25. هو في لسان علماء البيان عبارة عن ذكر الشيئين على جهة الاجتماع مطلقين عن التقييد، ثم يوفّى بما يليق بكل واحد منهما اتكالا على أنَّ السامع لوضوح الحال يرد إلى كل واحد منهما ما يليق به، وهو فى الحقيقة جمع ثم تفريق، واشتقاقهما من قولهم: لفَّ الثوب إذا جمعه، ونشر الثياب إذا فرقها، ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، (1415هـ/1995م): 212/2.
26. ينظر: الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: 195/7.
27. ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة (د.ت): 135/2.
28. أبو السعود الغرناطي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، (1419هـ/1999م): 578/1.
29. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 379/29.
30. ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 135/2.

31. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 379/29.
32. ينظر: المصدر نفسه: 379/29.
33. ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، (1415 هـ /1995م): 393/8.
34. ينظر: الآلوسي، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، (1415هـ): 170/15، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 315/10.
35. الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي– بيروت، ط3، (1407هـ): 668/4.
36. النحاس، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421هـ): 64/5.
37. ينظر: ابن قتيبة، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، (1398ه/ 1978م): 429.
38. الشنقيطي، أضواء البيان: 8/ 3994، وينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة– بيروت، (1420هـ/ 2000م): 588/6، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة– بيروت، (1420هـ/ 2000م): 295/8.
39. ينظر: محمد القاسمي، محاسن التأويل،دار الكتب العلميه – بيروت، ط1 (1418هـ): 376/9..
40. ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 71/9، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 388/12.
41. محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 165/8.
42. فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني، منشورات المركز البحوث والدراسات في جامعة، الشارقة، (1423هـ / 2002 م): 176.
43. المصدر نفسه: 15/ 321 .
44. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد صدقي العطار، دار الفكر– بيروت، ط 1، (1429هـ/2008م): 90/10.
45. القاسمي، محاسن التأويل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (د.ت): 377/9.
46. نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف –السعودية، ط2، (1430هـ / 2009م): 579.
47. أبو جعفر الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (د.ت): 497/2.
48. ينظر الزمخسشري، الكشاف: 674/4، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم– دمشق، (د.ت): 10/ 671، وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر– دمشق، ط10، (1430هـ/ 2009م): 394/15.
49. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 75/9.
50. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 405 .
51. عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (ت بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ت): 15/ 1381..
52. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 126.
53. عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (ت بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ت): 15/ 1381.
54. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 390.
55. المصدر نفسه: 12/ 394
56. أبو حيان الأندلسي البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، (1422هـ/2001 م): 8/ 364.
57. سعيد عبدالمجيد النوتي، من بلاغة القرآن في سورة الإنسان (دراسة بلاغية تحليلية)، بحث منشور في موقع جامعة أم القرى– مكة المكرمة (د.ت): 17.

المصادر والمراجع

أولاً- الكتب المطبوعة:

1. الأستراَبادي رضي الدين، محمد بن حسين (ت686هـ): شرح الرضي على الكافية: تحقيق: محمد نور الحسن، دار الشوق – بيروت، (1398هـ/ 1978م) .
2. الآلوسي شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، (1415هـ).
3. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة (د.ت).
4. أبو بلال الخراط، أحمد بن محمد المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: (1426هـ).
5. بول، براون جورج: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود– الرياض (1997م).
6. أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة– بيروت، (1420هـ/ 2000م).
7. أبو جعفر الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (ت 708هـ): ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (د.ت).
8. أبو جعفر النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي(ت 338هـ) إعراب القرآن:، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421هـ).
9. الجوهري، أبو نصر بن إسماعيل بن حماد (ت398هـ): الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة– بيروت، ط1، (1426هـ/2005م).
10. الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد: فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي)، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط1، (1431هـ/2010م).
11. حسان، تمام: الخلاصة النحوية: عالم الكتب– بيروت، ط1، (1420هـ/2000م).
12. حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها،عالم الكتب– القاهرة، ط 4، (1425هـ/2004م).
13. حسن، عباس: النحو الوافي، انتشارات ناصر خسرو– طهران، ط 3،

(1426هـ).

14. أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت458هـ): المحكم والمحيط الأعظم: تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، (2000م).

15. أبو الحسن الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري الشافعي (ت468هـ): الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور: أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور: عبد الرحمن عوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، (1415هـ / 199 م).

16. أبو حيان الأندلسي، يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين (ت745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الكتب العلمية –بيروت، ط 1، (1422هـ/2001 م).

17. الخطابي، محمد: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء– المغرب، ط2، (2006م).

18. الخطيب، عبد الكريم يونس: التفسير القرآني للقرآن، (ت بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي–القاهرة، (د.ت).

19. الدرويش، محيي الدين: إعراب القرآن وبيانه،، دار اليمامة – بيروت، دار ابن كثير– دمشق، دار الإرشاد – حمص، ط 9، (1424هـ/ 2003 م).

20. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: 276هـ): غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، (1398هـ/ 1978م).

21. الرازي فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التميمي البكري الشافعي (ت604هـ): مفاتيح الغيب، المشهور بـ(التفسير الكبير)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط3، (2009م).

22. الزحيلي، وهبة: التفسير المنير (في العقيدة والشريعة والمنهاج)، دار الفكر–دمشق، ط10، (1430هـ /2009 م).

23. السامرائي، فاضل صالح: على طريق التفسير البياني، منشورات المركز البحوث والدراسات في جامعة الشارقة، (1423هـ / 2002 م).

24. السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر– عمان، ط 1، (1420هـ/2000م).

25. أبو السعادات ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة (ت542هـ): الأمالي في النحو: (الأمالي الشجرية)،، دائرة المعارف العثمانية– حيدر آباد الدكن، الهند، (1349هـ).

26. أبو السعود الغرناطي، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت951هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، (1419هـ/1999م).

27. الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب (في النظرية النحوية العربية)، المؤسسة العربية– تونس، ط 1، (1421 هـ /2001 م) .

28. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، (ت 1393هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، (1415هـ/1995م).

29. ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد الطاهر (ت 1393هـ): تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المشهور بـ(التحرير والتنوير)، دار التونسية– تونس، (1984م) .

30. أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم– دمشق، (د.ت).

31. أبو العباس الفاسي، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجريالصوفي (ت1224هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، (1423هـ /2002م).

32. أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين: (ت175هـ)، تحقيق: الدكتور: مهدي المخزومي، والدكتور: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال– بيروت (د.ت).

33. أبو عبد الله القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري(ت 671 هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد صدقي العطار، دار الفكر – بيروت، ط 1، (1429هـ/ 2008 م).

34. أبو العرفان الصبان، محمد بن علي الشافعي (ت 1206هـ): حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، (1417هـ/ 1977م).

35. عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة الزهراء الشرق– القاهرة، ط1، (2006).

36. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني (ت749هـ): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، (1415هـ/1995م).

37. أبو الفضل: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711 هـ): لسان العرب: دار صادر– بيروت، ط1، (1956م).

38. أبو القاسم جار الله، محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي– بيروت، ط3، (1407هـ).

39. ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ): تفسير القرآن العظيم: تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، (1420هـ/1999م).

40. المرادي، حسن بن قاسم (ت 749هـ): الجنى الداني في حروف المعاني: تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية– بيروت، (1992م).

41. نخبة من أساتذة التفسير: التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف السعودية، ط2، (1430هـ / 2009م).

42. أبو يعقوب السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد علي (ت626هـ)، مفتاح العلوم: دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).

ثانياً- الرسائل الجامعية والبحوث المنشورة:

1. الأندلسي، شهاب الدين: الحدود في علم النحو: أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذِيّ، (ت860هـ)، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، منشورات مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112 – السنة 33 – (1421هـ/2001م).

2. بو ترعة، عبد الحميد: الإحـــالة النصيّة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنيةمجلة الأثر– جامعة قاصدي مرباح– ورقلة – الجزائر،العدد: 16، (2012م).

3. فجال، أنس محمود: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة صنعاء، (1428هـ/2009م).

4. الموساي، حسين عبد الله صالح: سورة الأعراف (دراسة نصية)، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، (1423هـ/2002 م) .

5. النوتي، عبد المجيد: من بلاغة القرآن في سورة الإنسان، بحث منشور في موقع جامعة أم القرى– مكة المكرمة (د.ت).